﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ٦٦ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨﴾ [الأحزاب: 64 - 68]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

بعدَ ذكْرِ السّؤالِ بـيَّنَ للكافرين بالسّاعة الحالَ

لمّا أخبر النّظمُ الجليلُ عن سؤال النّاسِ عنِ السّاعة، أتبعَه بالإخبار عن حال الكافرين بها الذين هم قِسمٌ ممّن يَسألُ عنها، فتوعّدَ اللّه تعالى الكافرين بعذابٍ ليس لهم من دونه وليٌّ ولا ناصرٌ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَعِيرًا﴾: (سعر) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اشْتِعالِ الشَّيْءِ واتِّقادِهِ وارْتِفاعِهِ، مِنْ ذَلِكَ: سَعيرُ النّارِ، واسْتَعارُها: تَوَقُّدُها[2]، وسعارُ النّارِ والحَرْبِ إيقادُهما وهَياجُهُما، والتهابُهما، والسُّعارُ: حرُّ النّار، وسَعُرَ الرّجل: أصابه حرٌّ[3]، والمُرادُ به في الآية الكريمة "النّارُ المسعورة، الشّديدةُ الإيقاد"[4].

2) ﴿تُقَلَّبُ﴾: (قلب) أصلٌ يَدُلُّ على رَدِّ شَيءٍ مِنْ جِهَةٍ إلى جِهَةٍ، تقول: قَلَبْتُ الشّيْءَ: كَبَبْتُهُ، وقَلَّبْتُهُ بيدي تَقْليبًا[5]، فالقَلْبُ: تَحْويلُ الشّيءِ عَنْ وجْهِهِ، وتحويلُه ظَهْرًا لبَطْنٍ، كالحَيَّةِ تَتَقَلَّبُ عَلَى الرَّمْضاءِ[6]، ومنه قَلْبُ الشّيء: تصريفُه وصرفُه عن وجهٍ إلى وجهٍ،

(1) ابن عطية، المحرّر الوجيز: 4/ 400، والبقاعي، نظم الدّرر: 15/ 416.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سعر).
(3) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (سعر).
(4) الزّمخشري، الكشّاف: 3/ 562.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قلب).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (قلب).

كقلب الثّوب، وقلب الإنسان، أي: صرفه عن طريقته، وتَقْليبُ الشّيء: تغييرُه من حال إلى حال نحو: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾[1]، والمُرادُ به في الآية الكريمة تقليبُ الكافرين في النّار من جهة إلى جهة أخرى تشديدًا لعذابهم[2].

3) ﴿سَادَتَنَا﴾: (سود) أَصْلٌ يدلّ على خلاف البياض في اللَّوْنِ، ثُمَّ يُحْمَلُ عليه ويُشْتَقُّ مِنْهُ، وسَوادُ كُلِّ شَيْءٍ: شَخْصُهُ، والسَّواد: العَدَدُ الكَثيرُ، وسُمّيَ بِذَلِكَ لأَنَّ الأَرْضَ تَسْوادُّ لَهُ[3]، والسَّوادُ الأعظمُ جُمْلَةُ النّاسِ ومُعْظَمُهم، والسَّيِّدُ الذي فاق غيره بِالعَقْلِ والمالِ والدَّفْعِ والنَّفْعِ، المُعطي مالَهُ في حُقوقِهِ المُعينُ بِنَفْسِهِ، وسُمّيَ سَيِّدًا لأنّه يَسودُ سَوادَ النّاسِ أي عُظْمهم[4]، والسَّيِّدُ: المتولّي للسّواد، أي: الجماعة الكثيرة، فيقال: سيّدُ القوم، ولمّا كان من شرط المتولّي للجماعة أن يكون مهذّبَ النّفس قيل لكلّ مَن كان فاضلا في نفسه: سَيِّدٌ، وقولُه: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾، أي: ولاتَنا وسائِسينا، وقوله: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ [يوسف: 25]، فسُمّي الزّوجُ سَيِّدًا لسياسة زوجته[5]، والمُرادُ به في الآية الكريمة عظماءُ النّاس وأشرافُهم الذين يقودونهم ويسوسونهم[6].

4) ﴿وَكُبَرَآءَنَا﴾: (كبر) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى خِلافِ الصِّغَرِ، والكِبْرُ: العَظَمَةُ، وكَذَلِكَ الكِبْرِياءُ، ويُقالُ: ورِثوا المَجْدَ كابِرًا عَنْ كابِرٍ، أَيْ كَبيرًا عَنْ كَبيرٍ في الشَّرَفِ والعِزِّ[7]، وكَبُرَ يَكْبُر، أي: عَظُمَ، وقوله جلّ شأنُه: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ [يوسف: 80]، أي أعْلَمُهم؛ لأنّه كانَ رَئيسَهُمْ، ويُقالُ: سادوك كابِرًا عَنْ كابِرٍ أي كَبيرًا عَنْ كَبيرٍ[8]، وكلُّ كبير هو كِبَرُ عِظَم، أو كِبَرُ رياسةٍ، وجمعُه (كُبراء)[9]، فاعتبرَ فيه المنزلة والرّفعة نحو قولِه جلّ شأنُه: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد: 9]، وقولِه: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ [الأنبياء: 58]، وقولِه: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ

(1) الرّاغب، المفردات: (قلب).
(2) النّخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 164.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سود).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (سود).
(5) الرّاغب، المفردات: (سود).
(6) الواحديّ، البسيط: 18/ 298.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كبر).
(8) ابن منظور، لسان العرب: (كبر).
(9) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (كبر).

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ﴾ [طه: 71] أي: رئيسكم[1]، والمرادُ به في الآية الكريمة: عظماءُ العشائر والقبائل، وهم دونَ السّادة[2].

5) ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾: (سبل) أصلُه يدلُّ على امتداد الشَّيء طولًا، فالسَّبيلُ الطَّريق، سُمّي بذلك لامتداده[3]، أو هو ما وضَحَ مِنَ الطّريق، يُذَكَّر ويُؤَنَّثُ، وسَبيلُ اللّه: طَريقُ الهُدى الَّذي دَعا إليه[4]، والسَّبيلُ هو الطَّريق الَّذي فيه سهولةٌ، وجمعُه: سُبُل[5]، ويُطلَق السَّبيلُ أيضًا على المذهب والطَّريقةِ في الدّين، كقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ [العنكبوت: 12]، أي: طريقتَنا في ديننا[6]، والمرادُ به في الآية الكريمة طريقُ الإيمان[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

توصيفُ حالِ الكافرين وندمِهم يومَ يتقلّبون في النّار

يخبرُ النّظمُ الكريمُ أنّ اللّه تعالى قد أبعدَ الكافرين عن كلّ خيرٍ، وأنّه قد أعدَّ لهم في الآخرة نارًا تتّقدُ وتتسعّرُ، ليمكثوا فيها أبدًا إلى غير نهايةٍ، وأنّهم في ذلك اليوم لا يجدون من يَتولّاهم فينقذهم من تلك النّار، ولا نصيرًا ينصرُهم، فينجّيهم من عقاب اللّه، فلا يجدُ هؤلاء الكافرون وليًّا ولا نصيرًا في يوم تُقلّبُ وجوهُهم في النّار حالًا بعد حال، وفي تلك الحال يقولون: ﴿يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ﴾ في الدّنيا وأطعنا رسولَه فنكونَ من أهل الجنّة، ويعترفُ الكافرون وهم في النّار قائلين: ربّنا إنّا أطعنا أئمّتَنا وكبراءَنا في الشّرك فأزالونا عن مَحَجَّة الحقِّ وطريق الهدى والإيمان بك، ربّنا عذّبهم منَ العذاب مثلَيْ عذابنا الذي تُعذِّبُنا، والعنهم واخزهم خزيًا كبيرًا[8].

(1) الرّاغب، المفردات: (كبر).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 117.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سبل).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (سبل).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللغة، والجوهريّ، الصحاح: (سبل).
(6) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 330، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (سبل).
(7) الماوردي، النّكت والعيون: 4/ 426.
(8) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 330 - 331.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علّةُ فصلِ جملةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

من وجوهِ العدلِ الإلهيِّ تعاقبُ حسابَيِ الدّنيا والآخرة

فصلَ النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا﴾؛ لأنّها مستأنَفةٌ استئنافًا بيانيًّا، وذلك لأنّ الجملة في قوله جلّ شأنُه: ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠﴾ [الأحزاب: 60] إلى قوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا ۝٦٢﴾ [الأحزاب: 62] تثير تساؤلًا في نفوس السّامعين، فيتساءلون عنِ الاقتصار على لعنِهم وتقتيلِهم في الدّنيا، وهل ذلك هو منتهى عقابِهم، أم أنّ لهم من ورائه عذابًا آخرَ؟ سيق قولُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ جوابًا عن ذلك[1].

معنَى ﴿إِنَّ﴾:

جزاءُ إنكارِ الكافرين القطعُ بعذابهم يومَ الحساب

أكّد النّظمُ الجليلُ الجملةَ بتصديرها بحرف التّأكيد ﴿إِنَّ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا﴾ فجاء الكلام مؤكدًا وذلك للاهتمام بالخبر، وتأكيدًا على سوء مصير الكافرين في ذلك اليوم الذين ينكرون وقوعَه، فالتّأكيدُ منظورٌ به حالُ السّامعين منَ الكافرين[2]، فالتّأكيد ردٌّ على إنكارهم.

دلالةُ التّصريحِ بلفظِ الجلالةِ:

أشدُّ العذابِ وأقساه الطّردُ من رحمة الملك الأعظم

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بلفظ الجلالة في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ لِما في الاسم الأعظمِ من دلالةٍ على التّعظيم، فهو الملك الأعظمُ الذي لا أعظم منه، وذلك تهويلًا لشأن اللّعنة الصّادرةِ عنه تعالى للكافرين، أي إنّه لعن الكافرين وأبعدَهم إبعادًا عظيمًا عن رحمته[3].

دلالةُ التّعبيرِ بفعلِ اللّعنِ ماضيًا:

ملكُ الملوك إذا توعّد فالوعدُ قد تحقّقَ

عبّر النّظمُ الجليلُ بلفظ اللّعنِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 22/ 114.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 114.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 15/ 417.

ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ تعبيرًا عن سخطه على الكافرين؛ فاللّعْنُ هو الطّردُ والإبعاد على سبيل السّخط، فهو في الآخرة عقوبةٌ، وفي الدّنيا انقطاعٌ من قَبولِ رحمته وتوفيقه[1]، وجاء التّعبيرُ بصيغة الفعل الماضي للدّلالة على تحقيق الوقوع، واللّعنةُ في الآخرة لمّا تقعْ بعدُ فعبّر بالفعل الماضي تأكيدًا وتحقيقًا لحصوله، كقوله جلّ شأنُه: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: 1][2].

معنَى (أل) في ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

كـلُّ الكافرين مشمولون باللّعن جزاءً وفاقًا

عرّف النّظمُ الجليلُ ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ بالألف واللّام في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا﴾ وهي هنا صالحةٌ أن تكون للعهد، بمعنى الكافرين الذين سبق ذِكْرُهم ممّن شاقّوا الرّسولَ ﷺ وآذَوه وأرجَفوا في المدينة وهمُ المنافقون ومناصروهم منَ المشركين واليهود، وصالحةٌ أن تكون للجنس، فالتّعريفُ فيها دالٌّ على الاستغراق؛ أي كلُّ كافر[3]، ولعنُ الكافرين عامٌّ لا يختصُّ بأهل مكانٍ وزمان، فهو تعالى قد لعنهم على الإطلاق، فشمل كلَّ كافر، لا مُنكري الحشر، ومعانديِ النّبيّ ﷺ فقط[4].

دلالةُ التّعبيرِ بصيغة اسمِ الفاعلِ ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

لعنةُ الله تعالى واقعةٌ على كلّ مُنكرٍ ساترٍ للحقّ مصرٍّ على ذلك

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بلفظ ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ للدّلالةِ على سترِهم الحقائقَ الظّاهرةَ البيّنةَ لكلّ عقلٍ سليم، سواءٌ كانوا منافقين أو مشاقّين[5]، فلفظُ الكفر شاملٌ لكلِّ مُتمرّد عاصٍ، وصوغُه على هيئة اسمِ الفاعل للدّلالة على مَن قام بفعل الكفر، أو اتّصف به على وجه الحدوثِ والتّجديد، ولذلك حُرِموا الرّحمةَ، وأُدخلوا دائرةَ العذاب.

(1) الرّاغب، المفردات: (لعن).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 115.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 114 - 115.
(4) إسماعيل حقّي، روح البيان: 7/ 244.
(5) البقاعي، نظم الدّرر: 15/ 417.

معنى (الواو) في قوله: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾:

عطفَ النّظمُ الجليلُ إعدادَ السّعير للكافرين على لعنهم في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ بالواو العاطفة، لبيان أنّ اللّعن في الآخرة مُتعلّقٌ ومُقترنٌ بالسّعير، كما أنّ لعنة الدّنيا مُقترنةٌ بالأخذ والتّقتيل[1].

لعنةُ الكافرين في الآخرة مصحوبةٌ بإدخالهم السّعيرَ

دلالةُ التّعبيرِ بالفعلِ ﴿وَأَعَدَّ﴾ ماضيًا:

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بلفظ الإعداد في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ للدّلالةِ على أنّه تعالى قد هيّأ تلك النّارَ وأوجدَ لهم[2]، فلم يُعبّرْ عن دخول النّار فحسبُ؛ بل بيّن أنّه قد عكفَ لتهيئة النّار لهم، فهو يبيّنُ شدّةَ هذه النّار، كمَنْ ينتظرُ وافدًا فيأخذُ يتكلّفُ له ما يناسبه وما يُتحفُه به، فهذا وعيدٌ شديدٌ، وقد آثر النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالفعل الماضي تأكيدًا لوقوعِه وتحقيقًا له.

تهيئةُ السّعير تهديدٌ بليغٌ بالعذاب الشّديد

معنَى (اللام) في القيد ﴿لَهُمْ﴾:

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ (اللّام) في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ وهي هنا دالّةٌ على الاختصاص والاستحقاقِ[3]، فهذه التّهيئةُ خاصّةٌ بهم، وقد استحقّوها فصارت شيئًا مُحازًا لهم، لا يشاركُهم أحدٌ به.

سَوقُ ما يدلُّ على الاختصاص واستحقاقِ العذاب

نكتةُ تقديمِ القيدِ ﴿لَهُمْ﴾ على ﴿سَعِيرًا﴾:

قدّم النّظمُ الجليلُ شبْهَ الجملة منَ الجارّ والمجرور على المفعول به في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ دون أن يقول: (وأعدّ سعيرًا لهم)؛ لأنّ الغرض من إعداد السّعير أنّها تكون لهم، فقدّم ذِكْرَهم اهتمامًا بهم، فهمُ المقصود بالإعداد، كما أنّ تأخير لفظِ السّعير يحافظُ على نسق الفاصلةِ الصّوتيّ.

تخصيصُ العذاب أدلُّ على هول الحساب

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 114.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 15/ 417.
(3) الهلال، تفسير القرآن النّري الجامع: 22/ 34.

دلالةُ التّعبيرِ بـ﴿سَعِيرًا﴾ مادّةً وصيغةً:

تسعيرُ النّار يعني شدّةَ الإيقاد

عبّرَ النّظمُ الجليلُ عنِ النّار بكونها سعيرًا في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ للدّلالةِ على شدّة اتّقادها؛ فتسعيرُ النّار يعني شدّةَ الإيقاد، وهي نكرةٌ صيغت على وزن (فعيل) مبالغةً للدّلالةِ على شدّةِ التّسعير والاتّقاد[1].

نكتةُ تقديمِ ﴿لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ على ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾:

قدّم النّظمُ الجليلُ جملةَ اللّعن على جملة الإعدادِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ وذلك لأنّ اللّعنة تسبقُ الجحيمَ وتُبرّرُ استحقاقَه.

دلالةُ التّعبيرِ بصيغةِ بـ﴿خَٰلِدِينَ﴾ دون (مخلّدين):

خلودُ الكافرين في النّار ثابتٌ طويلُ الأمد

عبّرَ النّظمُ الجليلُ عنِ الخلود بصيغة اسمِ الفاعل في قوله جلّ شأنُه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ للدّلالةِ على ثبوت صفةِ الخلود وتجدُّدِها، فهو خلودٌ لا ينتقضُ بمرّ الزّمان، تعبيرًا عنِ الاستقرارِ الثّابتِ في النّار، وجاء التّعبيرُ بـ﴿خَٰلِدِينَ﴾، دونَ (مخلّدين)؛ لأنّ لفظة (خالد) مناسبةٌ للدّلالة على طول المدّة والخلود؛ وذلك لتضمّن بنْيتِها على حرف الألف، ففي مدّهِ لمحٌ لطول الزّمان، أمّا لفظ (مخلّدون) فيدلُّ على المبالغة في الخلود، والسّياقُ آثرَ التّعبيرَ بلفظ (خالد) عنِ الخلود لبيان طول زمانه.

نكتةُ تقييدِ خلودِهم بالجارّ والمجرور:

التّنصيصُ على كون الخلودِ مستقرًّا في النّار فضلٌ منَ التّرهيب

قيّد النّظمُ الجليلُ الخلودَ بكونه في النّار في قوله جلّ شأنُه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ إيغالًا في التّهديد، وإظهارًا لشدّة العقاب، فهم ليسوا خالدين فحسبُ، بل خلودُهم لا ينفكّ لحظةً عنِ الوجود فيها، فعبّرتِ الظّرفيّةُ على رسوخ الخلود في النّار، وأنّه لا خروجَ منها، فهي دارٌ مُستقرٌّ للخالدين لا ينفكّون منها.

(1) الشّهاب، عناية القاضي: 7/ 185.

دلالةُ التّقييدِ بالتّأبيدِ نكرةً:

خلودُ الكافرين في النّار أبديٌّ حقيقيٌّ

قيّد النّظمُ الجليلُ الخلودَ بأنّه أبديٌّ في قوله جلّ شأنُه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ وذلك لتأكيد معنى الخلودِ، وأنّه خلودٌ أبديٌّ بلا انقطاعٍ، فلا خروجَ منَ النّار[1]، وفائدةُ التّأكيد هنا أنّه يؤكّد إرادةَ حقيقةِ الخلودِ لا مجازِه؛ لأنّه قد يُظَنّ أنّ الخلود يدلُّ على طول المدّة على سبيل المبالغة، فجاء بلفظ الأبد للدّلالة على تأكيد الخلود، وأنّ المُراد الحقيقةُ[2]، والتّنكيرُ يدلّ على إبهام الأبد، وذلك يشير إلى أنّه أبدٌ لا يُعرفُ كنهُه.

علّةُ فصلِ جملةِ ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾:

انقطاعُ الأملِ صورةُ عقابٍ لا تُحتملُ

فصلَ النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ لأنّها مُستأنَفةٌ؛ سيقت لبيان حالِ الخالدين المذكورين في الجملة السّابقة، أي إنّهم خالدون في حالة انتفاء وجودِ الوليّ والنّصير، فيُعدمون مَن يشفعُ لهم بتخفيف العذاب، أو ردِّه عنهم[3]، والغرضُ من ذلك تأييسُ الكافرين وقطعُ السُّبلِ عنهم، وهذا غايةُ المبالغة في التّهديد والوعيد.

سرُّ نفي فعلِ الوُجدان المضارع:

أشدُّ المنعِ دوامُ حجبِ المطلوب، والحرمانُ منَ المرغوب

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بلفظ الوُجدانِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾؛ لأنّه يدلّ على وُجدان المطلوب[4]، فعبّر بذلك للدّلالة على أنّهم طلبوا الوليّ وأرادوه، ولكنّ مانعًا حالَ بينهم، وهو ما حكمَ اللّه تعالى به في ذلك اليوم بأن لا ينفعَ وليٌّ ولا نصيرٌ، إلّا مَن جاء بقلب سليم، فلمّا كان الشّيء يُطلبُ ويُراد ثمّ يمنعُ منه مانعٌ، قال مبيّنًا ذلك الحالَ: ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾[5]، وقد آثر النّظمُ الكريمُ

(1) القنّوجي، فتح البيان: 11/ 149، وطنطاوي، التّفسير الوسيط: 11/ 250.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 417.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 115.
(4) ابن منظور، لسان العرب: (وجد).
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 417.

التَّعبيرَ بالفعل المضارع المَنفيِّ للدّلالة على تجدُّدِ النّفي، فوُجدانُ الوليّ والنّصير مُنتفٍ على وجه الدّوام والتّجدّدِ والاستمرارِ، فلن يأتيَ زمانٌ في ذلك اليوم يجدون فيه وليًّا ما.

دلالةُ إسنادِ فعلِ الوُجدان إلى ضمير الجماعة:

النّفيُ الشّاملُ لفعلِ الوُجدان

أسندَ النّظمُ الجليلُ الفعلَ إلى ضمير الجماعة في قوله جلّ شأنُه: ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾؛ للدّلالةِ على أنّ لا أحدَ منهم يجدُ وليًّا أو نصيرًا، فهو نفيٌ شاملٌ لكلّ أحد منهم.

نكتةُ حذفِ مُتعلّقِ ﴿يَجِدُونَ﴾:

انتفاءُ الوليّ يومَ القيامة عامٌّ لكلّ أحدٍ

حذفَ النّظمُ الجليلُ شبْهَ الجملة المتعلّقةِ بالفعل (يجد) في قوله جلّ شأنُه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾، وذلك لأنّ انتفاءَ وجودِ الولاية ليس مختصًّا بهم، بل هو مُطلقٌ عامٌّ لكلِّ أحد، فكلُّ امرئٍ إنّما يذودُ عنه عملُه وصحيفةُ أعماله.

دلالةُ التّعبير بلفظِ الولايةِ مادّةً وصيغةً:

فقدانُ الولاية خسرانٌ وخيبةٌ

آثر النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ الولاية في قوله جلّ شأنُه: ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ للدّلالة على أنّهم لا يجدون أحدًا يتولّى أمرَهم ولا يؤدّي لهم ما يُهمُّهم من شفاعةٍ أو غيرها[1]، وقد جاء التّعبيرُ عن ذلك بصيغة (فعيل) للدّلالة على أنّ الوليَّ شديدُ القرب والحُبّ لمواليه، فقد عدّوا الحبيبَ المُخلصَ لهم، والقريبَ الّذي يتولّى أمرَهم في ذلك اليوم، والتّعبيرُ بالتّنكير يدلُّ على العموم، أي لا يجدون وليًّا مّا، ولا ما يمكن أن يقال له وليٌّ بأيّ صفةٍ منَ الصّفات[2].

معنَى (الواو) في قوله: ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾:

تمامُ المهلكةِ انعدامُ المُحبِّ الأمين، والنّاصرِ المُعين

عطفَ النّظمُ الجليلُ النّصيرَ على الوليّ في قوله جلّ شأنُه: ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ فكما أنّهم لا يجدون مَن يحولُ بينهم وبين

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 15/ 417.
(2) الهلال، تفسير القرآن الزّري الجامع: 22/ 35.

الدّخول في النّار المُسعَّرة، فهم لا يجدون مَن يُخلِّصُهم من عذابها وسعيرها[1]، وفائدةُ العطف تأكيدُ انتفاءِ كلّ أسبابِ نجاتِهم ممّا عهدوه من سُبلِ الدّنيا بوجود الوليّ والشّفيع والنّصير.

معنَى ﴿لَّا﴾ ودلالةُ تَكرارها:

تَكرارُ النّفي يشيرُ إلى تَكرار الطّلب منَ الوليّ ومنَ النّصير

كرّر النّظمُ الجليلُ ﴿لَّا﴾ النّافيةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ فلم يقل: (لا يجدون وليًّا ونصيرًا)؛ لتأكيد النّفي، فنفَى وُجدان النّصير نفيًا مستقلًّا؛ وذلك لتأكيد انتفاءِ النّوعين على وجه الاستقلال، كما أنّ انتفاءَ وُجدان الوليّ وانتفاءَ النّصير نفيًا مستقلًّا يشير إلى أنّهم طلبوا كلَّ أحدٍ منهما طلبًا مستقلًّا، وهذا تعبيرٌ عن شدّةِ الفزع وعِظمِ الهول الذي أحْوَجَهم إلى كلّ أسبابِ النّصرة.

دلالةُ تقديمِ الوليّ على النّصير:

حين يَتخلّى الحبيبُ لن يتوانَى النّصيرُ عنِ التّولّي

قدّم النّظمُ الجليلُ الوليَّ على النّصير في قوله جلّ شأنُه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾؛ لأنّه أخصُّ منَ النّصير، فالوليّ هو القريبُ المحبُّ، أمّا النّصيرُ فلا يشترطُ فيه ذلك، فنفى القريبَ المُحبَّ الذي لا يتحقّقُ إلّا بأحد محدَّدٍ ومُعيَّنٍ، ثمّ أتبعَه بالمُعيَّن النّاصر الذي يتحقّقُ من كلّ أحد.

دلالةُ التّعبيرِ بالظّرفِ ﴿يَوْمَ﴾ نكرةً:

الآخرةُ مستودعُ الأحداث العظامِ والأهوالِ الجسام

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بالظّرفِ ﴿يَوْمَ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ دونَ غيره منَ الأسماء كالآخرة مثلًا؛ لأنّ اليوم ظرفٌ لِما يقع فيه منَ الأحداث، والتّعبيرُ به يُهيّئُ الذّهنَ لاستقبال ما يُذكرُ بعده منَ الأهوال والأحداث العظامِ التي تقع فيه، فلذا ابتدأ به تفخيمًا لشأنه، وجاء به نكرةً للتّهويل والتّعظيم[2].

(1) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 11/ 250.
(2) الهلال، تفسير القرآن الثّري الجامع: 22/ 36.

دلالةُ التَّعبيرِ بفعل التّقليبِ مادّةً وصيغةً:

تـقـلّـبُ الـكـافـر في الـنّـارِ كتقلّبِ المَقليّ في القِدْرِ

عبّر النّظمُ الجليلُ بالتّقليبِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ للدّلالةِ على أنّ وجوهَهم تقلّبُ من جهةٍ إلى جهةٍ أخرى تغليظًا عليهم في العذاب[1]، فتقلبُ حينًا على الجانب الأيمن، وحينًا على الأيسر، فشبّه وجوههم "بقطعةِ لحم في قِدرٍ تغلي ترامى بها الغَليانُ من جهةٍ إلى جهةٍ"[2]، وجاء التَّعبيرُ بصيغة التّفعيل للدّلالةِ على كثرة التّقليب وشدّته[3].

نكتةُ بناءِ الفعلِ ﴿تُقَلَّبُ﴾ لغير فاعلِه:

غـيـابُ الـفـاعـلِ تـصـويـرٌ لـعِـظـم التّقليب وشـدّةِ التّرهيبِ

آثر النّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بفعلِ التّقليبِ المبنيِّ للمفعول في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ لكون المُرادِ التّرهيبَ بالتّقليب لا بكونه من معيّن، فالتّقليبُ تصويرٌ لسوء حال أهلِ السّعير، جيء به لبيان شدّةِ العذاب، ولا حاجةَ لبيان القائم به، فيكفي داخلي النّار سوءًا وقوعُ التّقليب لا بكونه تقليبًا من معيّن.

براعةُ اختصاصِ الوجوهِ بالتّقلُّبِ:

تقليبُ أشرفِ ما في الإنسان إذلالٌ مع التّعذيب

خصَّ النّظمُ الجليلُ ذِكرَ الوجه بالتّقليب في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ وإن كان سائرُ الجسد يتقلّبُ؛ لأنّ الوجوه أكرمُ ما في الإنسان، وفائدةُ تخصيصها بالذّكرِ الزّيادةُ في تهويل الخطْبِ، وتفظيعُ العقاب[4]، فلمّا كان أكرمَ ما في الإنسان وجهُه كان تصويرُ حالته مُتقلّبًا في النّار شديدَ الوقع على السّامعين، فيوقعُ في أنفسهم الاتّعاظَ والبِدارَ إلى اتّباع سبيل الحق.

لطيفةُ الإضافةِ في قوله: ﴿وُجُوهُهُمْ﴾:

تـخـصـيـصُ التّقليبِ بوجوهِ الـكـافـريـن تعظيمٌ للنّكاية بهم

أضافَ النّظمُ الجليلُ الوجوهَ إلى ضمير الكافرين في قوله

(1) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 164.
(2) الشّهاب، عناية القاضي: 7/ 185.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 417.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 116.

جلّ شأنُه: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ للدّلالة على أنّ وجوهَهم أنفسِهم هي التي تقلّبُ لا مُطلق الوجوه، فهو زيادةٌ في النّكاية بهم.

معنَى ﴿فِي﴾ في القيد ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾:

دلالةُ الظّرفيّةِ على سوء الأحوال

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ ﴿فِي﴾ الدّالِّ على الظّرفيّةِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ لتبيين فظاعةِ ذلك التّقليب، فهو واقعٌ في النّار، وليس تقليبًا مُطلقًا، فالظّرفيّةُ دالّةٌ على شدّةِ سوء الحالة.

معنَى (أل) في ﴿ٱلنَّارِ﴾:

النّارُ هي السّعيرُ المتّقدةُ ذاتُها أُعيدت بلفظ النّار تبيينًا لجنسها

عرّف النّظمُ الجليلُ النّارَ بالألف واللّام في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ وهي هنا للعهد الذِّكْريّ، فهي النّار المعهودةُ المذكورةُ بلفظ السّعير آنفًا، وعبّر بلفظ النّار دون سائر مرادفاتِها للتّصريح بأصرحِ ألفاظها دلالةً على جنسها، وهو أشدُّ بيانًا على شدّة العذاب.

نكتةُ إظهارِ ﴿ٱلنَّارِ﴾ دونَ الإضمارِ:

من زيادة التّرهيبِ تكثيرُ أسماءِ النّار

أظهر النّظمُ الجليلُ لفظَ النّار في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ بعد أن ذكرها بلفظ السّعير آنفًا، فلم يقل: (تقلّب وجوههم فيها) بالإضمار؛ وذلك لأنّ إظهار الاسم فيه زيادةٌ في البيان، مع الدّلالة على استقلال المعنى بالتّرهيب[1]، فذكرها باسم آخرَ غيرِ السّعير فيه تهويلٌ لشأنها، وإيرادها على السّمع بألفاظٍ مختلفة تشديدًا في التّرهيب وقوّةً في البيان.

علّةُ فصلِ جملةِ التّمنّي عمّا قبلها:

الشّروعُ بحكاية حالِ الكافرين في النّار

فصلَ النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾؛ لأنّها مستأنَفةٌ استئنافًا بيانيًّا؛ فقد

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 418.

سيقت للجواب عن سؤال نشأ من حكاية حالِهم الفظيعةِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ۝٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ۝٦٥ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾، فقيل: فماذا يصنعون عندَ ذلكَ؟ فقيل: إنّهم يقولون تلك المقولةَ مُتحسِّرين على ما فاتَهم[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالقولِ مادّةً وصيغةً:

الاعترافُ بالذّنبِ قولًا صريحًا دليلُ شدّةِ الحسرة

عبّر النّظمُ الجليلُ بلفظ القولِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ للدّلالةِ على أنّهم صرّحوا بندمِهم، واعترفوا بجُرمِهم، وهذا يُنبئُ عن شدّة حسرتِهم، وجاء التَّعبيرُ عن ذلك بصيغة الفعل المضارع للدّلالة على أنّ هذا القولَ النّادمَ يتجدّدُ منهم ويصيرُ ديْدنًا لهم.

معنَى حرفِ النّداءِ في المَطلع:

مآلُ الكافرين لهولِ المشهدِ حسرةٌ وندامة

افتتح النّظمُ الجليلُ جملةَ مقولِ القول بحرف النّداء في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ لإظهار تحسّرِهم، فالنّداءُ جيء به لتّنبيه السّامع بكون حالهم حقيقةً بأن يُرثى لها[2]، فمدُّ الصّوت بياء النّداء يدلُّ على شدّة تحسّرِهم وفداحةِ ندمِهم على ما فوّتوا من طاعة الله تعالى والنّبيّ ﷺ .

دلالةُ ندائِهم كلمةَ التّمنّي (ليت):

استدعاءُ التّمنّي كنايةٌ عن شدّةِ النّدم

أوقع النّظمُ الجليلُ حرفَ النّداء على الحرف الدّالِّ على التّمنّي في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ للدّلالةِ على أنّ المقصودَ بالنّداء هو إظهارُ التّحسّر والنّدم، والتّمنّي هنا مرادٌ به الكنايةُ عنِ النّدم على ما فات[3]؛ وذلك لأنّ (ليت) تدلُّ على

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 116.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 22/ 116.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 116.

استحالة التّحقّق، فلمّا نادوا ما هو مستحيلٌ ظهر أنّ المراد مجرّدُ بيانِ شدّة العوز لِما فاتهم، فأظهروا النّدم عليه.

دلالةُ التّعبيرِ بفعلِ الطّاعةِ ماضيًا:

الإقرارُ بالعصيانِ بعد فواتِ الأوانِ

عبّرَ النّظمُ الجليلُ باللّفظِ الدّالِّ على الطّاعة صراحةً في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ للدّلالة على أنّهم تمنَّوا امتثالَ الأمر والنّهي الذي بلّغَهم به النّبيُّ ﷺ، ومَن سبقه منَ الأنبياء والرّسل عليهم السلام، وجاء التّعبيرُ عن ذلك بالفعل الماضي للدّلالة على أنّ زمان تلك الطّاعةِ قد مضى وأنّه من شأن الدّنيا لا منَ الآخرة[1]، والتّعبيرُ بتمنّي الطّاعة اعترافٌ ضِمنيٌّ بالعصيان.

دلالةُ إسنادِ فعلِ الطّاعةِ إلى ضميرهم:

الاجتماعُ على الضّلالة إمعانٌ في الغيّ

أسند النّظمُ الجليلُ فعلَ الطّاعة التي تمنَّوها إلى ضمير جماعة المتكلّمين في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ للدّلالةِ على أنّ تلك مقولةُ جميعِهم، وأنّ النّدم والتّحسّر ظهرَ منهم كلِّهم، وهذا يُنبئُ عن هول الخطْب ثَمّ.

دلالةُ التّصريحِ باسمِ الجلالة:

يُؤذنُ التّصريحُ بأحقيّةِ الله سبحانه بالطّاعة

أوقع النّظمُ البليغُ فعلَ الطّاعة على لفظ الجلالة في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ تصريحًا منهم بأنّهم قد علِموا أنّ الله تعالى هو الملك الأعظمُ الذي تجب طاعتُه[2].

معنَى (الواو) في قولهم ﴿وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾:

شدّةُ الحسراتِ تحيلُ على تمنّي إيقاعِ كلِّ الواجبات وتحقيقِ كلِّ الطّاعات

عطفَ النّظمُ الجليلُ طاعةَ الرّسول ﷺ على طاعة الله تعالى في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾؛ لأنّ طاعة الرّسل واجبةٌ، وهي الطّريقُ إلى طاعة الله تعالى، فتمنّوا أنّهم قد

(1) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 164، وإسماعيل حقّي، روح البيان: 7/ 244.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 418.

فعلوا كلا الطّاعتين، أي: ليتنا أطعنا الله في الدّنيا فيما أمر ونهى، وأطعنا الرّسول ﷺ فيما فصَّلَ وبيَّن ونهى[1].

دلالةُ تَكرار فعلِ الطّاعةِ:

تمنّي الإذعانِ والخنوعِ بتَكرار تمنّي الطّاعةِ والخضوع

كرّر النّظمُ الجليلُ لفظَ الطّاعة في قوله جلّ شأنُه: ﴿أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ دون أن يُقال: (أطعنا الله والرّسول)؛ لأنّهم ندموا كلَّ النّدم على فوات الطّاعة، فكرّروا لفظَها لبيان تمنّيهم المبالغةَ في الإذعان والخضوع[2]، كما أنّ إعادة العامل تدلّ على أنّ طاعة النّبيّ ﷺ واجبةٌ على سبيل التّأكيد والاستقلال[3].

وجهُ إيثارِ لفظِ (الرّسول) معرّفًا:

طاعةُ الرّسول يومَ الدّين أمنيةُ كلِّ الضّالّين

آثر النّظمُ الجليلُ التّعبيرَ بلفظ (الرّسول) معرّفًا بالألف واللّام في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ للدّلالةِ على أنّه بُعث برسالة، لا بكونه نبيًّا حسبُ، فتمنّوا اتّباعَ الرّسول وما في رسالته من شرائعَ وتعاليمَ، والتّعريفُ فيه تعريفُ الجنس، فيدلُّ على أنّهم تمنَّوا اتّباعَ كلِّ الرّسل؛ لأنّ رسالتهم واحدةٌ.

دلالةُ تقديمِ ﴿أَطَعْنَا ٱللَّهَ﴾ على ﴿وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾:

طاعةُ الله تعالى هي أصلٌ لكلّ طاعةٍ سواها

قدّم النّظمُ الجليلُ ذِكْرَ طاعةِ الله تعالى على طاعة الرّسول ﷺ في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾؛ لأنّ الأصل في الطّاعة طاعةُ الله تعالى، وطاعةُ النّبيّ ﷺ تابعةٌ لطاعته ﷻ، فقدّم الأصلَ وأتْبعَه بالفرع.

معنَى (الواو) في صدرِ الجملة:

تمنّي حصولِ الطّاعةِ بعد الحسرةِ والتّنصّلِ منَ السّادة في الآخرة

عطفَ النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ على الجملةِ في قوله

(1) الهلال، تفسير القرآن الزّري الجامع: 22/ 36.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 15/ 418.
(3) الهلال، تفسير القرآن الزّري الجامع: 22/ 36.

تعالى: ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾[1]، وفائدةُ العطفِ حكايةُ جملةِ أقوالِهم الكاشفةِ عن ندمهم ولاتَ ساعةَ مندمٍ، وشدّةِ تحسّرهم، وتنصّلِهم من سادتهم وكبرائِهم، ودعائِهم عليهم.

لطيفةُ الالتفاتِ منَ المضارعِ إلى الماضي:

التّنصّلُ والتّبرّي منَ السّادة سابقٌ لتمنّي الطّاعةِ

عدلَ النّظمُ الجليلُ عن التّعبيرَ بالفعل المضارع إلى الفعل الماضي في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ فعطفَ الماضيَ على المضارع على طريقة الالتفاتِ؛ لأنّ قولهم هذا صدرَ قبل التّمنّي في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ﴾؛ فالتّمنّي حصل حين مسَّهمُ العذابُ، وهذا التّنصّلُ والدّعاءُ صدرَ منهم حين مشاهدةِ العذاب وحشْرِهم مع رؤسائهم إلى جهنم، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعَا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨﴾ [الأعراف: 38][2]، والتّعبيرُ بالماضي أيضًا يشيرُ إلى أنّ قولَهم هذا ليس مستمِرًّا كقولِهم السّابقِ بل هو اعتذارٌ أرادوا به التّشفيَ بمضاعفةِ عذابِ أسيادِهم وكبرائِهم بعد أن أيقنوا عدَم قَبولِ دعائهم لخلاصِهم منَ النّار[3].

دلالةُ التّعبيرِ بعنوانِ الرّبوبيةِ دونَ الألوهية:

الإقرارُ بالرّبوبيّة اعترافٌ بالإحسان سابقًا، ممهّدٌ للقَبول المرجوِّ لاحقًا

عبّر النّظمُ الجليلُ في سياق النّداءِ والدّعاء بعنوان الرّبوبيّة في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ إشارةً إلى اعترافهم بنعمِه عليهم بإرسال الرّسل وإنزالِ الكتب والشّرائع، فدعوا اللّه تعالى مُقرّين بأنّه قد أكرمهم بأنواع الإكرام وجميلِ الإحسان[4]، فالاعتذارُ إلى اللّه تعالى بصفة الإحسان يحملُ الإقرارَ بإحسانه إليهم، طمعًا منهم برجاء القَبول.

(1) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 11/ 194.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 117.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 117.
(4) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 165.

دلالةُ الإضافةِ في ﴿رَبَّنَآ﴾:

التّلطّفُ في الدّعاء طمعًا في حصول القَبول

أضاف النّظمُ الجليلُ لفظَ الرّبوبيّة إلى ضمير المتكلّمين في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾، اعترافًا ببلوغ إحسانِه إليهم، أي: أيّها المحسنُ إلينا[1]، فهو تلطّفٌ منهم في الدّعاء، وإقرارٌ بإحسانه السّابق، طمعًا بحصول القَبول.

نكتةُ حذفِ أداةِ النّداء:

يستظهرُ اللّائذُ بالله القربَ والانكسارَ طمعًا بالقَبول

حذفَ النّظمُ البليغُ حرفَ النّداء في قوله جلّ شأنُه: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ فلم يقولوا: (يا ربّنا)؛ فأجروا خطابَهم "على عادة أهل الخصوصِ بالحضْرةِ؛ زيادةً في التّرقّق، بإظهارِ أنّه لا واسطةَ لهم إلّا ذلُّهم وانكسارُهم الذي عُهِد في الدّنيا أنّه الموجبُ الأعظمُ لإقبال الله على عبده، كما أنّ المُثبتَ لأداة البُعد بقوله: (يا الله) مشيرٌ إلى سُفولِ منزلته وبُعدِه بكثرة ذنوبه وغفلته تواضعًا منه لربّه؛ لعلّه يرفعُ ذلك البُعدَ عنه"[2].

علّةُ الفصلِ في جملة ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾:

الطّاعةُ العمياءُ علّةُ الضّلال

فصلَ النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾؛ لأنّها مُستأنَفة استئنافًا ابتدائيًّا سيقت لبيانِ جوابِ النّداء[3]، فلمّا تقدّم النّداءُ شرعَ ببيان مقصودِهم منه، وهو التّمهيدُ لطلب الانتصاف من سادتِهم وكبرائهم، والإفضاءِ إلى جملة: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾[4].

معنَى (إنّ) في قولهم ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا﴾:

طريقُ الإضلالِ الاتّباعُ عن جهلٍ وتغييبِ العقل

أكّد النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 418.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 418 - 419.
(3) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 11/ 194.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 22/ 117.

﴿وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ بحرف التّأكيدِ (إنّ)، للإعلام بأنّهم قدِ اجتهدوا في اتّباعِهم سادتَهم وكبراءَهم في الدّنيا عن جهل، والآن صاروا على بصيرة منَ الحقّ، فأعلموا بالتّأكيد أنّهم كانوا يظنّون أنّ اتّباع السّادة والكبراء ليس ضلالًا[1].

دلالةُ التّعبيرِ بلفظِ الطّاعة:

اتّبعَ الكفّارُ أسيادَهم خضوعًا وإذعانًا

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بلفظ الطّاعة في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ للدّلالةِ على أنّهم قدِ امتثلوا أمرَ سادتهم وكبرائهم، وتوقّفوا عند نهيهم، إذعانًا منهم وخضوعًا في غير محلّهِ، وإشارةً منهم إلى أنّهم لم يضلّوا من تلقاء أنفسِهم، فهو اعتذارٌ عن عصيانهم اللّه تعالى ورُسلَه ﷺ وتنصّلٌ من أسيادهم.

اختلاف القراءات في كلمة ﴿سَادَتَنَا﴾ وتوجيهها:

نوع الجمع له دلالة واضحة على سياق الكلام:

قرأ يَعْقوبُ وابْنُ عامرٍ ﴿سَادَاتِنَا﴾ بالجَمْعِ وكَسْرِ التّاءِ، وقرأ الباقونَ بالتَّوْحيدِ: ﴿سَادَتَنَا﴾، ونَصْبِ التّاءِ[2]، فالحجة لمن قرأه بالجمع: أنه لما جاء بعده (كبراء)، وهو جمع (كبير) وجب أن يكون الذي قبله (سادة) وهو جمع (سيِّد)؛ ليوافق الجمع في المعنى، والحجة لمن قرأه بجمع الجمع: أن السادة كانوا فيهم أكبر من الكبراء، فأبانوهم منهم بجمع يتميزون به عنهم، وأيضًا: فإن جمع الجمع ورد على إرادة التكثير؛ لكثرة من أضلّهم وأغواهم من رؤسائهم، فهو جمع (سادة)، جمع مسلَّم بالألف والتاء، وقراءة الباقين ﴿سَادَتَنَا﴾ على أنّه جمع (سيد)، فهو يدلّ على القليل والكثير؛ لأنه جمع مُكسَّر[3].

دلالةُ عطفِ الكُبراءِ على السّادةِ:

حشدُ الأسبابِ الدّاعيةِ للكفر غايتُه قَبولُ العُذر

عطفَ النّظمُ الجليلُ الكبراءَ على السّادة في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّآ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 419.
(2) ابن الجزري، النشر: 2/ 349.
(3) ابن خالويه، الحجة، ص: 291، ومكّي، الكشف: 2/ 199.

﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ لبيان أنّ اتّباعهم قد وقع على منِ امتلك الصّفاتِ الحسنةَ، فالسّادةُ هم قادةُ النّاس الذين يتولّون تدبيرَ أمورهم وعليهم طاعتُهم، والكبراء همُ الذين يَفضلون النّاسَ في العلم أوِ السّن أوِ الشّرف، فجمعوا بين السّادة والكبراء لإلقاء اللّومِ عليهم؛ لعلَّ اللّه يقبلُ اعتذارَهم[1]، وجعل ابنُ عرفةَ العطفَ محتملًا أن يكون للتّأسيس، وذلك إذا أريد بالكبراءِ كبراءُ السّنّ، ويحتمل أن يكون العطفُ للتّأكيد إذا أريد بالكبراء الكِبرُ في المنزلة والقدر[2]، ويُزادُ على ذلك أنّ المُراد تقويةُ اعتذارهم، وإلقاءُ التّبِعة عنهم، والتزكية لاتّباعهم بأنّهم اتّبعوا أهلَ الرّأيِ والحكمة منهم، والأتمَّ عقلًا ورجاحة فيهم، فإذا كان السّادة والحكماء قد ضلّوا فنحن أقربُ للكفر منهم لافتقارنا للحكمة التي عندهم، والكفرُ والضّلالُ يُتصوّر فينا أكثرَ منهم، فلمّا ضلّوا هم مع ما لهم من عقل وحكمة ودرايةٍ، فليس علينا تَبِعةٌ ولومٌ إذا ضللنا نحن.

نكتةُ التّعبيرِ بلفظِ السّيادةِ والكِبر يومَ القيامة:

حكايةُ حالِهم الماضيةِ تسويغٌ لاعتذارهم

عبّرَ النّظمُ الجليلُ عنِ المُتَّبَعين بلفظ السّادة والكبراء في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ ويومَ القيامة ليسوا كذلك؛ فهم في مقام التّحقير والإهانة، فإنّما عبّروا عنهم بذلك تقويةً لاعتذارهم، وإظهارًا لكونهم لم يضلّوا من تلقاءِ أنفسهم[3].

معنَى (الفاء) في قوله: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾:

الضّلالُ المُبينُ مُتسبِّبٌ عن طاعة الضّالّين

عطفَ النّظمُ الجليلُ الإضلالَ على الطّاعة بالفاء في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾؛ للدّلالةِ على

(1) الهلال، تفسير القرآن الثّري الجامع: 22/ 37.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 311.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 117.

أنّ طاعتنا إيّاهم بسببِ ما لهم من نفوذ الكلمة وقوّةِ السّلطان أنّنا اتّبعناهم[1].

سرُّ إيثارِ فعلِ الإضلالِ:

الضّلالُ عدولٌ عنِ الهدايةِ والصّراطِ المستقيم

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بلفظ الضّلال في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ لأنّه نقيضُ الهداية، وهو العدولُ عنِ الطّريق المستقيم، وكلُّ عدولٍ عنِ المنهج هو ضلال[2]، أي: أنّهم صرفونا عنِ اتّباع الإسلام والتّوحيد؛ وذلك لأنّهم زيّنوا لنا الكفرَ والشّركَ، فأخطؤوا بنا السّبيلَ كما يضلّ المرء طريقَه إذا أخطأ وحاد عن جادّةِ الصّواب[3].

نكتةُ إسنادِ الإضلالِ إلى ضمير الجماعة:

إضلالُ النّاسِ منهجٌ يتواطأُ الكفّارُ عليه

أسندَ النّظمُ الجليلُ الضّلالَ إلى ضمير الجماعة في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾؛ للدّلالةِ على أنّهم عملوا على جعْلِ النّاسَ ضالّين بجُملتِهم، فتواطؤوا على ذلك، أي: جعلونا ضالّين عنِ السّبيل[4].

سرُّ إيثارِ لفظِ ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ معرّفًا:

السّبيلُ إلى الله واضحٌ يسيرٌ سويٌّ

عرّف النّظمُ الجليلُ السّبيلَ بالألف واللّام في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ وهي هنا دالّةٌ على معهودٍ ذهنيٍّ، فالسّبيلُ هو ما عبّر عنه لفظُ الطّاعة، أي الإيمانُ وطاعةُ اللّه تعالى ورُسلِه ﷺ، وإنّما عبّر بلفظ السّبيل دون الطّريق؛ لأنّ الإيمان والدّين منهجٌ واضحٌ واسعٌ سهلُ السّلوك، فهو الطّريقُ "السّويّ المستقيمُ الموصِلُ إلى توحيدك وتصديق رسلك"[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 419، وصافي، الجدول: 11/ 194.
(2) الرّاغب، المفردات: (ضلّ).
(3) إسماعيل حقّي، روح البيان: 7/ 244.
(4) الشّهاب، عناية القاضي: 7/ 185.
(5) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 165.

علّةُ فصلِ جملة ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ﴾:

لا يسلمُ المُضِلُّ من دعاء المُضَلِّ

فصلَ النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾؛ لأنّها مُستأنَفةٌ استئنافًا بيانيًّا، فسيقتِ الجملةُ جوابًا عن سؤال نشأ من إحالتهم معصيتَهم على السّادة والكبراء، فكأنّه قيل: فما تريدون لهم؟ فقالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾[1].

لطيفةُ تصديرِ الدّعاء بالنّداء مكرّرًا:

تقريرُ الرّبوبيّةِ إظهارٌ للضّراعةِ والاسترحام

صدّر النّظمُ الجليلُ الدّعاءَ بالنّداء مُكرَّرًا والتّصريحَ بالمنادَى بلفظِ الرّبوبيّة في قوله جلّ شأنُه: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾ فلم يقولوا: (وآتهم ضعفين من النّار)؛ وذلك للمبالغة في الجُؤارِ واستدعاءِ الإجابة[2]، فهو تأكيدٌ للضّراعة وطلبٌ للاسترحام.

دلالةُ التّعبيرِ بفعلِ الإيتاء على صيغة الأمر:

الدّعاءُ بمضاعفةِ الانتقامِ دليلُ شدّةِ الإيلام

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بلفظِ الإيتاء في قوله جلّ شأنُه: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾؛ لدلالةِ الإيتاء على الإعطاء، وأصلُه منَ الإتيان وهو دالٌّ على المجيء بسهولة[3]، فعبّروا بذلك لطلب إحضارِ العذابِ إليهم؛ فأصلُ الإيتاء الإحضارُ[4]، فكأنّه إعطاءُ العذاب إليهم خاليًا ممّا يردُّه ويمنعُه عنهم.

لطيفةُ التّعبيرِ بلفظِ الضِّعفِ مثَّنًى:

طلبُ تكرار العذابِ وتكثيرِه تعبيرٌ عن شدّة غيظِ الضّالّين مِنَ المضلّين

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بلفظِ الضِّعف في قوله جلّ شأنُه: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾ للدّلالةِ على تكرار العدد فيه، أي: مِثلَيْ عذابِنا، فالمرادُ الكثرةُ والشّدّةُ، أي مضاعفًا أضعافًا[5]، ولمّا

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 15/ 419.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 117، وإسماعيل حقّي، روح البيان: 7/ 245.
(3) الرّاغب، المفردات: (أتى).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (أتو/ أتى).
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 419.

كان العذاب معنى لا ذاتًا يمكن عدُّها، كان معنى التّكرير والمضاعفة فيه مجازًا عن الشّدّة والقوّة، والتّعبيرُ عنه بصيغة التّثنية للدّلالة على التّكرير والتّشديد، كما في قوله جلّ شأنُه: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾ [الملك: 4]؛ والبصرُ لا يخسأ في نظرتين، فعُلم أنّ المراد التّكريرُ والكثرة[1].

معنَى ﴿مِنَ﴾ في قولهم ﴿مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾:

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ ﴿مِنَ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ وهي هنا بيانيّةٌ، تبيّنُ جنسَ العذاب الذي سألوه لسادتهم وكبرائهم، أي: مثلَيْ عذابِنا[2].

معنَى (أل) في ﴿ٱلۡعَذَابِ﴾:

عرّف النّظمُ الجليلُ العذابَ بالألف واللّام في قوله جلّ شأنُه: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾ وهي هنا لتعريف العهد، والمرادُ به العذابُ الذي وقع بهم وعهدوه، أي: مثلَيْ عذابِنا[3].

الإحالةُ على العذابِ المعهودِ

معنَى (الواو) في قولهم ﴿وَٱلۡعَنۡهُمۡ﴾:

عطفَ النّظمُ الجليلُ جملةَ اللّعن على جملة إيتاءِ العذاب في قوله جلّ شأنُه: ﴿ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾[4]، وذلك لتأكيد خلودِهم في العذاب، فليس بعد العذاب من مَخرجٍ، فطلبوا أن يكونوا ملعونين خالدين في العذاب.

ليس بعدَ العذابِ من مخرجٍ بل لعنةٌ تُخلّدهم فيه

دلالةُ التّعبيرِ بلفظِ اللّعنِ أمرًا:

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بسؤالِ اللّعنةِ على معنى الدّعاءِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾ للتّعريض بكوْن تَبِعةِ ما هم فيه إنّما

طلبُ لعنةِ أسيادهم تعريضٌ بانتفاء استحقاقِهم العذابَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 22/ 118.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 419.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 419.
(4) صافي، الجدول: 11/ 195.

هي بسبب هؤلاء، وأنّ العذابَ الذي أُعدّ لهم حَريٌّ أن يُسلّطَ على الذين أضلّوهم[1].

دلالةُ تقييدِ فعلِ اللّعنِ بالمفعول المُطلق:

تعيينُ نوعِ اللّعنِ طلبُ لشدّةِ التّنكيل

قيّد النّظمُ الجليلُ اللّعنَ بالمفعول المطلق في قوله جلّ شأنُه: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ وذلك لبيان كيفيّةِ اللّعنِ، فهو مخصوصٌ بكونه كبيرًا، تعبيرًا عن عِظم خُسرانهم الذي لا يَجبرُه عوضٌ، فكان طلبُهم نوعًا منَ اللّعن وهو اللَّعنُ الكبير الكثير تنكيلًا بأسيادهم الذين سوّلوا لهم اتّباعَهم وأضلّوهم، والتّنكيرُ دالٌّ على التّعظيم لِما فيه منَ الإبهام، أي: لعنًا عظيمًا بحيث لا يَعلمُ كُنهَه إلّا الله تعالى.

سرُّ وصفِ اللّعنِ بالكِبَر:

أشدُّ اللّعنِ الذي لا يُجبرُ، ولا يُرجى بعدَه نجاةٌ

وصفَ النّظمُ الجليلُ اللّعنَ بكونه كبيرًا في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾؛ لدلالة الكبير على العظَمةِ، فالمُرادُ أشدُّ اللّعن، وأعظمُه[2]، أي اطردْهم عن رحمتك طردًا عظيمًا، وأبعدهم تبعيدًا بعيدًا بحيث لا يُرجى بعد ذلك أن ينجوا أبدًا[3].

اختلاف القراءات في كلمة ﴿كَبِيرًا﴾ وتوجيهها:

الجمع بين الكمّ والكيف لتأكيد المعاني:

قَرَأ عاصِمٌ وهشام بخلاف عنه بالباءِ المُوَحَّدَةِ مِنْ تَحْتِ: ﴿كَبِيرًا﴾، وقرأ الباقون: بالثّاءِ المُثَلَّثَةِ: ﴿كَثِيرًا﴾[4]، فحجة من قرأ بالثاء أنه جعله من الكثرة على أنَّهم يُلعنون مرة بعد مرة بدلالة قوله: ﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: 159]، فهذا يدلُّ على كثرة اللَّعن لهم، فالكثرة أشبه بتكرير اللعن لهم من الكبر، وحجة من قرأ بالباء أنَّه لمّا كان الكبر مثل (العِظَم) في المعنى، وكان كل

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 119.
(2) الشّهاب، عناية القاضي: 7/ 185.
(3) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 165.
(4) ابن الجزري، النشر: 2/ 349.

شيء كبيرًا عظيمًا دلَّ العِظَم على الكثرة وعلى الكبر، فتضمَّنت القراءة بالباء المعنيين جميعًا، الكبر والكثرة[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

السّادة والكُبَراء:

السّادة جمع سيّد؛ وهو الذي فاق غيرَه بِالْعَقْلِ والمالِ والدَّفْعِ وَالنَّفْعِ، المعطي مالَهُ في حُقوقِهِ، المُعينُ بِنَفْسِهِ، وسُمِّيَ سَيِّدًا لأَنّه؛ يَسودُ سَوادَ النّاسِ، أي: عُظْمهم[2]، أمّا الكبراءُ فجمْعُ كبير وأصلُه من (كبر) وهو يَدُلُّ على خِلافِ الصِّغَرِ، والكِبْرُ: العَظَمَةُ، ويُقالُ: وَرِثوا الْمَجْدَ كابِرًا عَنْ كابِرٍ، أَيْ: كَبيرًا عَنْ كَبيرٍ في الشَّرَفِ وَالْعِزِّ[3]، فالكبراء همُ العظماءُ ولا يشترطُ فيهم أن يكونوا قادةً للنّاس وأسيادًا، أمّا السّيّدُ فهو الذي يفوق النّاسَ ويقودُهم ويسود السّوادَ الأعظم، فالسّادّةُ أعلى منزلةً ومكانةً منَ الكبراء.

السّادة أخصّ من الكبراء؛ فهم عظماء مع قيادة النّاس

(1) مكّي، الكشف: 2/ 199.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (سود).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كبر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والأربعون،
سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 45 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-98-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 45 : المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-98-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9766833 بتاريخ 2025/01/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»